من الليـــل وهي الليلة السابقة للشهر المريمي وفي اولهِ عيد صعود الربّ الى السماء
(لها بقيّة)

اصل الحياة

خطاب القاهُ الاديب منصور افندي السوداء من جمعيّة الشبيبة الكاثوليكيّة

ليس كلّ شيْ في الطبيعة مادّةً هيولية . قال العلّامة دي كاترفاج (M^r de Quatrefages) : لا يستطيع الانسان مهما تعمّق جهدهُ الّا يرى في الطبيعة صنفين من الموجودات يختلفان كلّ الاختلاف اعني الجمادات والاجسام الالية

لا ننكر انهُ يوجد في كليهما خواصّ مشتركة تدخل فيها جميعاً فانّ في دقائق الجسم الحيّ كما في تركيب الاجسام الصلبة اركاناً لا تختلف كالكربون والاوكسيجين والهدروجين والازوت والكبريت والفسفور فتعمل فيها العوامل الطبيعيّة والكيمويّة وتدخلها على سواء في الجوامد وفي الاجسام الحيّة

لكنّ هناك ما عدا هذه الاركان المشتركة فروقاً عظيمة تفصل بينهما فصلاً باتّاً لانّ لخلايا الحيّ وجداناً لا يدركهُ التحليل الكيمويّ وخواصّ لا تملكها المادّة قطعيًّا

فمن ذلك انّ لاجسام الاحياء بنياناً يتكيّف بكيفيّات لا يفي بها احصاء على خلاف الجوامد المعدنيّة فانّ تركيبها يلزم حالةً واحدة

ومنها انّ الحيّ ينمو ويبادل في كلّ ساعة دقائقهُ مع العالم الخارجيّ فيدخل عليهِ التركيب والتحليل بلا انقطاع . واذا بطل التركيب ودام التحليل أُصيب الحيّ بضربة لازبة ندعوها الموت . امّا الجسم الجامد فيبقى على تركيبهِ اللهمّ الّا اذا تسلّط عليهِ احد العوامل الخارجة

وكذلك الحيّ نراهُ يتقلّب في اطوار مختلفة فيلوح في عالم الوجود ثمّ ينمو حتى اذا بلغ تمامهُ آل الى الضعف والهرم . امّا المعادن فلا تنمو واذا نمت كان نموّها بانضمام اقسام خارجة اليها ليس بتحويل الاجسام الغريبة الى ذاتها

ولخيرًا كلّ يعلم انّ الحيّ يولّد شبيهاً به بالتناسل وحيهات ان تستطيع ذلك الجوامد

ولكن من اين للحيّ هذه الخواصّ المميّزة له عن الجماد ؟ ذاك سؤال يلقيه كلّ انسان يبحث عن حقائق الامور امّا الجواب عنهُ فيتحصّل من ارباب العلم الحقيقيّ . قال الطبيعيّ دي كاترفاج : « انّ معظم علماء عصرنا المدودين في جملة اركان العلم الموثوق بهم لوفرة معارفهم يتّفقون بالرأي على انّ هذه الخواصّ التي نلحظها في الاجسام الآليّة انّما هي ناجمة عن قوّة ذاتية خاصّة ندعوها الحياة تنضمّ فيها الى القوى غير الآليّة »

وهنا يبتدرنا السائل بالسؤال قائلًا : وما هي الحياة ؟ نجيب انّهُ لا مشكل في تميز الكائنات الحيّة عن سواها من الموجودات المعدنيّة الصلبة لكنّ الآراء تتعدّد وتتقسم في تعريف ماهيّة الحياة او المبدأ الحيّ

أليست الحياة مجموعاً خاصًا من القوى الكيميويّة كما زعم الماديّون فارتأوا انّ الحياة هي تركيب الدقائق الماديّة على صورة خاصّة . فممّن ذهبوا الى هذا الرأي الكيموي هيدون (Hédon) لكنّهُ لمّا اراد ان يعرّف الجرثومة الاولى او النطفة الاصليّة (protoplasma) التي منها يتركّب الحي ناقض نفسهُ بنفسهِ ونزع عنها الحياة التي اراد اثباتها فيها

ثم ظنّ الطبيعيّ غلاي (Gley) انّهُ يفكّ هذا السرّ بنسبتهِ الحياة الى عوامل كيميويّة وطبيعيّة معاً فلم ينل من فعلهِ غايةً اذ رأى انّ تلك العوامل تغذي الاحياء وتنميها وهي على عكس ذلك تحلّل وتفني المادّة الجامدة فهذه العوامل لا تعلّل الحياة والحياة ارقى من كلّ عامل طبيعيّ وكيمويّ ولا يفيدنا عنها علماً الّا بيان اصلها

اصل الحياة

اذا رقيتَ سلّم الاعصار الخالية بلغت زمناً كانت فيها ارضنا كُتلة نارية ذائبة يضغطها ثقل ثلاثة آلاف جلد لا يستطيع ان يعيش فيها حيٌّ من الاحياء بل يستحيل وجود مبدأ الحياة فيها . ثمّ مرّت على كرتنا الاجيال فبردت قشرتها وأمكن وجود الاجسام الحيّة فيها فلا بُدّ من القول انّ تلك الحياة ابتدأت فمن اين بلغت اليها الجرثومة الاولى او الخليّة الحيّة الاصليّة . فالماديّون يلقون من شرح

القضيَّة عَرَق القربة ليعللوا وجود مبدأ الحياة . فمن مزاعمهم الغريبة انَّ ارضنا اذ كانت سائرة في الفضاء سيرًا حثيثًا لقيت في طريقها سديمًا من مادَّة العوالم العلويَّة فكان في جملتها جراثيم حيَّة ادخلت الحياة في ارضنا . لكنَّ هذا التعليل الوهميّ مخالف لكل مبادئ العلوم الوضعيَّة فضلًا عن كونهِ لا يشرح كيف وُجدت الحياة في بقيَّة الاجرام العلويَّة ولذلك اهمل الماديُّون هذا الرأي وطلبوا تعليلًا آخر لئلَّا يضطرُّوا الى الاقرار بوجود الخالق وموجد الحياة

ومن اشيع المذاهب التي راجت سوقها لدى تاركي وجود الله مذهب هِيكِل (Hæckel) الذي اعلن بان الطبيعة وحدها تستطيع ان تعلل ذاتها ومن ثمَّ على زعمهِ انَّ كلَّ من ينسب شيئًا من الطبيعة الى غيرها يضادّ العلم . ولمَّا طلبوا اليهِ أن يثبت علميًّا وجود الاجسام الحيَّة بعد عدمها اخترع مذهبًا جديدًا سعى في وضع اساسهِ وتشييد اركانهِ بالحجج السوفسطائيَّة مدَّة اربعين سنة فكان كلَّ يوم يبدل ويزيد وينقص ويتلوَّى ويعوج حتى كشف خصومهُ تلاعبهُ وخزعبلاتهِ واوهامهُ المختلفة وبيَّنوا تزويرهُ في رسم الصوَّرات فجلبوهُ عارًا وسربلوهُ خزيًا

وها نحن نبسط هنا خلاصة المذهب الهيكليّ ليكون القرَّاء على بصيرة منهُ فننتقدهُ كمذهب علميّ وفلسفيّ معًا فاذا بيَّنا بطلانهُ اضطررنا صاحبهُ الى ان يقرّ بوجود الهٍ صدرت عنهُ الحياة لأنَّ هيكل عينهُ قد اكَّد انَّهُ لا بُدَّ من التسليم بعقيدة وجود الخالق اذا ما ثبت بطلان مذهبهِ

قد دعا هيكل مذهبهُ بالمذهب الفرديّ (monisme) لزعمهِ انَّ الطبيعة كلها نجمت عن عامل فرد الذي بتحوُّلهِ المتواصل على موجب سُنَنٍ ازليَّة لا مناص منها تداول وترقَّى متسلسلًا من الفرد الاوَّل الى ما لا نهاية لهُ من الكائنات . وقد تشدَّق بقولهِ انَّ مذهبهُ هذا وحدهُ مذهبٌ مؤسس على اصول العلم . امَّا القائلون بانَّ اصل الحياة من مكوّنٍ خارج عن طور الطبيعة فانَّهُ يدعوهم بالثنويين ويدعو مذهبهم مذهب الثنويَّة اللاهوتيَّة (le dualisme théologique) وينسب قولهم الى الجهل والى اوهام لا سند لها

ذلك بجمل قول هِيكِل استاذ كليَّة يانا (Iéna) الذي دافع عن مذهبهِ هذا دفاع الامّ عن ولدها واللبوة عن شبلها . وقد كرَّر في كتاباتهِ العديدة انَّ كلّ مظاهر

الحياة مرجعها الاخير الى المظاهر الطبيعيَّة والكيمويَّة فلا فرق بين هذه وتلك. ومن اقوالهِ الغريبة « انَّ كلَّ شيءٍ يعلَّل اخيرًا بالمظاهر الميكانيكيَّة سواء كانت حركات الاجرام السماويَّة وسقوط الحجارة او نشوء النبات حتى ضمير الانسان »

فترى انَّ هيكل متوغِّل في المادَّة لا يرى غيرهـا في كلّ الطبيعة ومواليدها الثلثة من جماد او حيّ او ناطق فهلمَّ بنا ننظر كيف يثبت رأيهِ والى اي ركن يسند البناء الذي شادهُ فان كان الركن مكينًا رضينا بزعمهِ والَّا سقط البنـاء. وصحَّ فيهِ قول السيِّد المسيح ان سقوطهُ يكون عظيمًا

كان قدماء الملحدين اذا انكروا وجود الخالق وارادوا تعليل الاحياء التجأوا الى التولُّد الذاتيّ (génération spontanée) امَّا هيكل فاخترع الفاظًا جديدة ظنَّ انهُ يموِّه بها على البسطاء فدعـا اصل المولَّدات الحيويَّة « التكوُّن الرئيسي الطوعيّ » (l'archigonie autogonique) ثم يباشر هيكل اثبات قولهِ زاعمًا انَّ اوَّل ظهور هذا التكوُّن انَّما كان بوجود مادَّة دعاها النطفة الاولى (archi-planon) ثمَّ هذه النطفة تنفَّست بروح الحياة (bioplanon) ومنها تكوَّنت كلّ مظاهر الحياة التي لم تزل تتسلسل بالتولُّد حتى وصلت اخيرًا الى الانسان الاوَّل. وهنا اتَّسع في كلام طويل على وصف مجالي الحياة في كلّ طبقاتها

وهكذا زعم هيكل انَّهُ اثبت رأيهُ بالبرهان . لكنَّ خصومهُ اوقفوهُ للحال وسألوهُ قائلين: وهذه النطفة الاولى من اين حصلت وما هو اصلُها

اسمعوا جوابهُ المضحك الذي يعيدنا الى التولُّد الذاتيّ بعد ان زعم انَّ مذهبهُ يخالف هذا المذهب قال :

« ان الجراثيم الاصليَّة (les monères primitives) قد تولَّدت ذاتيًّا في اعماق البحر كما تتكوَّن التبلورات الملحيَّة في المياه الصافية فكذلك تركَّبت عناصر الكربون والحامض الكربونيّ والهدروجين والازوت وبتألُّف هذه الاركان وُجدت الحياة في اوَّل العـالم مع فعل الكهرباء والحرارة والضغط الشديد والامتزاجات الكيمويَّة وعوامل أخرى نجهلها لانَّ احوال تلك الاجيال الاولى كانت تخالف احوال زماننا الحاضر »

... صفوة المذهب الهيكلي الذي زعم انهُ كافٍ ليجحد وجود الخالق وينفي فعلهُ في الجماد لانشاء الحياة

مهما تفنَّن هيكل في كلامهِ وعدَّد من العوامل الاوليَّة لا مناص لهُ من القول بالتولُّد الذاتيّ وانَّ الحيّ يوماً خرج من الجماد. وعليهِ اذا ثبتنا انَّ التكوّن الطوعي مستحيل بطل مذهبهُ واضمحلّ زعمهُ

شاع بعد ارسطو ذاك المبدأ الشهير انَّ فساد الواحد توليد الآخر (corruptio unius generatio alterius) وبناء عليهِ اعتقد القدماء انَّ بعض الحيوانات السافلة تتولَّد من العفونيَّات. وجاراهم في رأيهم علماء القرون الوسطى لكنَّهم نسبوا ذلك التوليد الذاتي الى قدرة الله الذي اتَّخذ بعنايتهِ هذه الوسيلة لتنمية الاحياء في العالم. ثمَّ قامَ من بعدهم في القرن السابع عشر قوم زعموا انهم يولِّدون فيران وعقارب دون تناسل لكنَّ الطبيعيّ رادي (Redi) ازال تلك الاوهام واماط عن وجه الحقيقة

ثمَّ اكتشف العلماء المُجهر فلاحت لهم عوالم جديدة من الحيويات الدقيقة التي كانوا يجهلون وجودها ولم يعلموا طريقة نموّها فعادوا الى اثبات التوليد الذاتيّ بنفي التناسل من حيّ الى حيّ. فعاكسهم سبالانزاني (Spallanzani) وابطل مزاعمهم. لكنَّ پوشه (Pouchet) استأنف الجدال سنة ١٨٥٨ ليقرّر مبدأ التكوُّن الطوعيّ مؤكِّداً انَّ كائنات حيَّة تتولَّد في بعض المقامات خلوّاً من حيّ سابق اولدها. وقد اثبت المشرق سنة ١٩١١ (١٤: ٥٣—٥٤) كيف تصدَّى لهُ العلَّامة باسطور وبيَّن بالتجارب المتعدّدة المكرَّرة امام الجمعيَّات العلميَّة بانَّ الحيّ يتولَّد من الحيّ (omne vivum ex vivo) وانَّ المزاعم السابقة مبنيَّة على اوهام محضة او على امتحانات غير وافية لأنَّ پوشه وشيعتهُ اتَّخذوا لاثبات رأيهم وسائل لم تُحكَم فيها كلّ موارد الحياة ولو عقَّموا الهواء من كلّ الجراثيم الحيَّة لما تولَّدت احياء جديدة

فكان لامتحانات باسطور صدًى عظيم في كلّ الدوائر العلميَّة التي لم تَرَ الّا الاذعان للحقيقة الواضحة. لكنَّ الماديين وانصارهم رأوا في ذلك تلاشي مذهبهم ووجوب القول بخالق أوجد بقدرتهِ الحياة على الارض فاخذوا يطلبون لهم حججاً لاثبات رأيهم

وممَّن تالوا في ذلك بعض الشهرة المستر بورك (Burke) الذي روى المشرق في

السنة ١٩٠٥ اختباراته (٨ : ٧٣٢ و ١١٥٠) ردًّا على المتطف فهذا الطبيعي اتخذ ثلاثة انابيب مفرغة من الهواء وادخل فيها سوائل معقَّمة اضاف اليها هلاماً ثمَّ قسماً من البپتون (peptone) والملح (chlorure de sodium) فجعل هذا المزيج في كلٍّ من الانابيب الثلثة لكنَّهُ اضاف الى الاوَّل دقائق من برومور الراديوم والى الثاني من كلورور الراديوم وابقى الثالث على حالهِ . فبعد ايَّام وجد في المزيجين الاوَّلين ذرَّات كرويَّة كانت تنشأ فتنمو ثمَّ تتقسَّم الى شبه الخلايا. فصرخ بورك ظافرًا انهُ أولد احياء من الجماد ودعا الذرَّات النامية راديوب (radiobes) اي مواليد الراديوم . واوَّل ما لحظهُ العلماء من امرها انَّها تخالف الميكروبات الحيَّة في عدَّة امور فهذه تقتلها الحرارة امَّا الراديوب فتوارى فقط ثمَّ تعود بهبوط درجة الحرارة . كذلك وجدوا انَّ الماء الحارَّ يقتل الميكروب ويحلل الراديوب كما انَّ الراديوب تنحجب مع النور وتلوح في الظلمة على خلاف الميكروب . فبعد زمن قليل كشف سرَّ الراديوب العلَّامة رامساي (S. W. Ramsay) وبيَّن انَّ الراديوب ليست باحياء وانَّما هي نتيجة تحليل ماء الهلام بواسطة املاح الراديوم فينشأ من ذلك كُريَّات غازيَّة ذات غلاف دقيق تلوح كالخلايا الحيَّة امَّا نموّها فبفعل الراديوم في الهلام ويزيد هذا الفعل حتى تتقسَّم الكريَّات . واذا نفذت فيها الحرارة بَرُد الهلام وتفجَّرت الكريَّات الغازيَّة فلا يبقى اثرٌ للراديوب . امَّا الراديوم الباقي فيستطيع ان يستأنف فعلهُ في الهلام غير مرَّة بتركيب ذرَّات جديدة خالية من الحياة

وقام بعد بورك طبيب فرنساوي من اساتذة كانت اسمهُ الدكتور اسطفان لودرك (M^r S. Leduc) فعمد الى اختبارات اخرى زعم انها تثبت التوليد الذاتي فعرضها على نادي العلوم في فرنسة في الجلسة المعقودة ٢٦ ت ٢ سنة ١٩٠٦ قال « انهُ اصطنع حبَّة مركَّبة من السكَّر وسلفات النحاس وجعلها في مزيج من الماء والهلام وفورسيانور البرطاسا مع شيءٍ من الملح. فلحظ انَّ الحبَّة المذكورة انتفخت ثمَّ ذرَّت بنبات بلغت اغصانهُ ٣٠ سنتيمترًا وفي جوانب الاغصان اوراق باشكال مختلفة كالاشواك والسنابل والكرين كما ترى في النباتات » . فارتأى موسيو لودرك انهُ اكتشف الطريقة التي تولد احياء من الجماد بواسطة العوامل الطبيعيَّة والكيموية وحدها وتغنَّى بنشيد الظفر

على انَّ ظفر المسيو لودوك لم يدم زمناً طويلاً فبيَّن له احد مشاهير الطبيعيين الفرنسويين المسيو دارنسوفال (M^r d'Arsonval) انَّ تلك المستنبتات ليست من جنس الاحياء وانَّما هي داخلة في باب امتزاج السوائل في بعضها المسمّى اوسموز (osmose) وهو شيء معروف . فدُعي اكتشاف المسيو لودوك تكوُّناً احجيَّة الحياة (le calembourg de la vie) وبلغ الخبر الى وزير المعارف فمزَّق القرار الذي كان كتبهُ لترقية المسيو لودوك الى رتبة استاذ في مكتب العلوم الفرنسويَّة (le Collège de France) وبعد ان عاد هذا الاكتشاف المزعوم على صاحبه بالخزي رأينا مجلَّة مصريَّة قد اثبتته مؤخَّرًا تأييدًا لرأي المادّيين . وليس هذا اوَّل انكسافٍ يصاب به بدر المجلَّات المصريَّة

وقد طنطنت جرائد الملحدين باكتشاف آخر لاحد علماء انكلترَّة المادّيين الاستاذ هكسلاي (Huxley) الذي كان استخرج من اعماق البحر حمأةً غرويَّة هلاميَّة بيضاء ارتأى انَّها هي النطفة الاصليَّة التي كانت مبدأ الكائنات الحيَّة فدعاها باثيبيوس (bathybius) اشارةً الى وجودها في قعر البحر وكتب في ذلك كتاباً اهداهُ الى صديقهِ هيكل الذي شكرهُ على اكتشافهِ وأمَّل منهُ خيرًا لكنهُ لم يجدهما نفعاً

وبعد احدى عشرة سنة حضر هكسلاي مؤتمر علماء وطنهِ في شيفلد . فافتتح المؤتمر رئيسهُ المستر الان (Allmann) فعوَّض بذكر نطفة الباثيبوس فلمَّا انتهى قام هكسلاي خطيباً وتخطَّى الى ذكر الرئيس للباثيبوس فاقرَّ بأنَّهُ هو ابو هذا المولود وانَّهُ هو الذي عمَّدهُ باسمه الغريب وانَّهُ كان في حسبانهِ انَّ الطفل سينشأ ويترعرع لكنَّهُ لم يزل سقيماً مهزولاً لم يخلِّف ما ينبي عليهِ والدهُ من الآمال بل جملهُ خزياً واضحوكة عند الناس ومن ثمَّ يتبرَّأ منهُ بازاء المؤتمر العلميّ ويقرّ بان هذا المولود الحيّ ليس هو الَّا راسباً من سولفات الكلس امتزجت معهُ في رسوبهِ بعض موادّ آلية

فكان الحضور يسمعون هذا الخطاب ويستغربون ضحكاً وأثنوا على رصيفهم الذي اقرَّ هكذا بخطإهِ على طريقة هزليَّة ومات الباثيبيوس من ذاك الوقت ما لم نجد حتى اليوم آثار حياتهِ في المجلَّات المصريَّة المتأخرة في سبيل العلم كما ألوف عادتها على انَّ هذه الاختبارات لم تقنع بعد هيكل وتبعتهُ فانَّهم يحيون رجاءهم كلّ

يوم في اكتشاف ينابيع الحياة وحجتهم انّ الكيميويين يركّبون اليوم اجساماً عديدة مشكلة التركيب كالكحولات والحامض الخلي والحامض النملي والمادّة البولية (urée) فالامل معقود ايضاً ان يركّبوا مادّة حيّة كما ترى في زلاليّات الكريون

على انّ ذوي العقل الراجح يردّون على قولهم بانّ مبدأ الحياة هو في طور اعلى من المادّة فهما ركّبوا وحلّلوا لا يستطيعون ان يُوجدوا مادّة حيّة. وهذا القول يكرّره ليس اللاهوتيّون فقط بل العلماء الماديّون انفسهم. قال احدهم العالم الشهير ورشوف (Virchow): « انّنا نقرّ بصراحة نحن الماديّين انّنا نودّ لو صحّ مذهب التولّد الذاتي لكنّا لم نعام حتى اليوم اختباراً واحداً يثبت تولّد مادّة آلية من مادّة غير آليّة . ومن ثمّ يجب القول انّ الذي ينفي هذا المذهب ليسوا اللاهوتيين بل العلم المقرّر »

وزاد تندال (Tyndall) تصريحاً على ورشوف وهو يرتأي رأيهُ في نكران الروحيّات فقال : « انّ من قال بتولّد الحيّ ذاتيّاً يأتي برأي نهاية في الغرابة والفحش » وتندال هذا من الوضعيين نكرّة وجود الاله

ولا يجدي هيكل نفعاً قولهُ بان الاحياء في زماننا لا تتكوّن من ذاتها وانّما تكوّنت قديماً لاختلاف الظروف . لأنّ هيكل بزعمهِ هذا ينكر ثبوت سُنَن الطبيعة التي لا تتغيّر مع الزمان والمكان فان سلّم بانّ الحيّ في عهدنا لا يتولّد من ذاتهِ وجب عليهِ القول بذلك في الازمنة الخالية . وقد علّل الامر الجيولوجيّ الشهير السيردي لاپاران (de Lapparent) حيث قال : « نسلّم لهيكل بان القوى الطبيعية كانت في سالف الدهور اشدّ واقوى منها اليوم ولكنّها لم تكن من جنس آخر وان قلنا بالتولّد الذاتي وجب القول بانّ حقيقة تلك القوى كانت مختلفة عن حقيقتها اليوم وذلك شطط ظاهر »

فان كان الامر كذلك لا يبقى لهيكل الّا ان يقرّ بشططهِ فان رضي جرى مع العلم وتمّ ما شرط بهِ على نفسهِ ان يقرّ بوجود الخالق اذا ثبت انّ مذهبهُ ليس بصحيح . وان ابى قام عليهِ العلماء حتى الماديّون وزيّفوا رأيهُ الواهن باسم العلم والحقيقة

وكم يكرم الانسان ذاتهُ باقرارهِ بحقيقة وجود ذاك الذي رفعهُ فوق المادّة واعطاهُ قوى نفسهِ . وهكذا فعل تندال بعد تشبّثهِ بمبدأ الماديين فقال : « اني اجد

في الحيّ الارضي موطناً ارتقي بهِ من دقائق المادّة الى تكوين الخالق» . وقال درون نفسهُ: « انهُ يوجد نوع من العظمة ورفعة المقام اذا اعتبر الانسان الحياة وخواصها كهبة وهبها الخالق في بدء وجودها للمخلوق »

وعليهِ قد صدقت التوراة الصدق التامّ اذ افتتحت كلامها في سفر التكوين بذكر خلقة الله للحيّ بعد ذكرها تكوين المادّة الجامدة وهذا التوافق العجيب بين آيات الوحي وبيّنات العالم يقرّر على اجلى منوال انّ الدين شقيق العلم وليس بينهما مناقضة البتّة

البرهان الصريح

في اثبات ألوهيّة المسيح

ردًّا على مجلّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث

ألوهية المسيح في شهادة القديس يوحنّا المعمدان

قد حان الوقت للسيّد المسيح بان يظهر وهو القائل (لوقا ٨ : ١٦) « ليس احد يوقد سراجاً فيغطّيهِ بانا. او يضعهُ تحت سرير بل يجعلهُ على منارة ليرى الداخلون نورهُ » وكان المسيح (يوحنّا ١ : ٩): « هو النور الحقيقي الذي ينير كلّ انسان آتٍ الى العالم »

كان يكفي لهذا النور الالهيّ ان يظهر للعالم ليُبهر العالم فيقرّ الناس باجمعهم لسطوع نورهِ . ومن ثمّ ما كان المسيح محتاجاً لشهادة انسان ليثبت دعوتهُ . أفما كانت النبوّات العديدة المفصّلة اوضحت كلّ اسرار حياتهِ وحدّدت كلّ تفاصيل مجيئهِ من زمان ومكان واحوال مختلفة ؟ الم يستطع ان يفحم الجاحدين بذكر مولدهِ العجيب في بيت لحم وسجود الملوك لهُ في مذودهِ وشهادة سمعان الشيخ وحنّة النبيّة